



El-Hakim Bekdache Rana

► **To cite this version:**

El-Hakim Bekdache Rana. . Les liaisons dangereuses: langues, traduction, interprétation, Dec 2010, Beyrouth, Lebanon. p. 205 - 215. <hal-00599606>

HAL Id: hal-00599606

<https://confremo.hal.science/hal-00599606>

Submitted on 10 Jun 2011

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

قصة الحب والهجر والطلاق

يرمي هذا البحث إلى وصف واقع الحال بين اللغات من جهة والترجمة من جهة أخرى فيصف ما ساد بينهما من علاقة قامت على جمع القطبين وتراوحت بين الحب فالإرتباط فالمناوشت حتى وصلت إلى الهجر فالطلاق ولا غالب ولا مغلوب.

في السراء والضراء:

إن الرابط الذي جمع مفهوم اللغات بمفهوم الترجمة كونَ في أذهان الناس صورةً عن الزوج : يكفي أن نذكر الأول حتى يتบรร إلى الأذهان فوراً الثاني. وكل زوج لا بدّ لطرفٍ أن "يستوعب" الطرف الآخر أو أن يكون قواماً عليه. وقد جاء في "لسان العرب"¹: القيم "السيد وسائس القوم وقيم القوم : الذي يقوم بهم ويسوس أمرهم وقيم المرأة : زوجها لأنّه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه".
وعلاقة الزوج : اللغات والترجمة ليست علاقة سواسية وعلاقة الند بالند بل هي علاقة تقوم على اتفاقٍ محدّد بين الفريقين أساسه الرضا المتبادل. وهو كل العقود المبرمة بين الأزواج يقضي بأن يؤمّن الفريق الأول الرعاية والأمن على أن يقدم الفريق الثاني الطاعة والإنصياع. ولعلّ من يقرأ تاريخ الترجمة يكتشف إلى أي مدى كانت الترجمة جزءاً لا يتجزأ من اللغة ؛ وكيف إنها اقتصرت على تمارين لغوية تبرهن مدى كفاءة الطالب في النقل إلى لغته الأم. وقد خضعت الترجمة لقواعد اللغة واعتبرت جانباً من جوانبها. واعتمدت الطرائق التعليمية القديمة (مثل طريقة "الجمل"² التي وضعها الأب "دالفرني" وطريقة Assimil³) على الترجمة كعماد أساسي في تدريس اللغات الأجنبية الحية. وعملية الترجمة هذه شكلت سيفاً ذا حدين بالنسبة للنص المصدر والنص الهدف على حد سواء.

¹ لسان العرب ، لإبن منظور ، ج 12 – دار صادر - بيروت

² طريقة Assimil : وُعرفت أيضًا بسلسلة "بلا عناء" مواد لتعليم اللغات الحية ومنها الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية والإيطالية...- وتصدر عن مكتبة لبنان.

³. طريقة الجمل أو ما يُعرف ب "cours de langue arabe" وضعها الأب دالفرني D'alverny A. في بكفيا عام 1949 وصدرت عن دار المشرق.

فبالنسبة للنص المصدر يقتصر عمل المترجم على "التشريح اللغوي" للنص. فيستعين المترجم بقواعد اللغة وهو بعمله هذا لا يتلوّحى فهم جوهر النص أي روحه بل يحاول أن ينقل التراكيب ذاتها من لغة إلى أخرى وقد تتوزع التمارين على تحديد صيغة الأفعال مثلاً أو رصد المفاعيل أو مراقبة تركيب الوحدات إلى ما هنالك من تمارين لغوية تفكّك جسد النص ولا تصل إلى الروح أو الجوهر أي إلى الفهم.

ومرده ذلك أن المترجم يتعامل مع النص المصدر كنصٌ جامدٌ أو موبياء فيقتصر عمله على إيجاد مقابل لكل مفردة في النص المصدر ويترجم بالرصاص لأنه عاجزٌ عن الفهم ويقع بالحرفيّة. وقد تتفاوت مستويات الترجمة بحسب كل مترجم ودرجة اتقانه اللغة الأم وإمكانياته في تطوير اللغة خدمةً للنص الهدف. وعملية النقل هذه أبعد ما تكون عن الترجمة لأنها تسطّح اللغة وتحوّل النص الهدف إلى سلسلة مفردات متّعاقبة لا رابطٍ بينها. وتؤدي عملية النقل هذه إلى خلق هوةٍ كبيرةٍ بين اللغتين والأسباب كثيرة.

أما السبب الأول فيتعلّق بقواعد اللغة ويرى بعض فقهاء اللغة⁴ أن التفاوت موجودٌ أصلًا بين اللغات؛ وهم يعتبرون اللغة الأم بقواعدها اللغوية كمقاييسٍ لباقي اللغات وهي بنظرهم "أسمى" من باقي اللغات. وطبعيًّا أن يتحول فعل الترجمة في حالة كهذه إلى مقارنة لغة بلغة وبالتالي إلى فوقية لغةٍ على لغةٍ والواقع أن حصر الترجمة بهذه النظرة الضيقية يخلُّ يعلقة التكافؤ بينها وبين اللغات ويؤدي إلى خضوعها قسراً لشروطٍ لا تقبلها ولا تقرُّ بها.

أما السبب الثاني فيتعلّق بالتراكيب. ولعل عدم الفهم يأسر المترجم بقالبٍ محدّد ويفرض عليه نمطاً معيناً في التعاطي مع النص المصدر. فقد يحاول المترجم - رغبة منه في الحفاظ على الشكل "المثالي" للنص المصدر - (يحاول) أن ينقل التركيبة ذاتها إلى النص الهدف. وقد يذهب إلى حد المغالاة في الحفاظ على بنية النص المصدر فيكون نتاجه نصاً بالعربيّة صيغ بتراكيب أجنبية. لعل الولاء الأعمى للنص المصدر وتراكيبه هو دلاله واضحه على مدى فوقية لغة على أخرى وبالتالي على سيطرة التيارات العقائدية على اللغات لفترةٍ من الزمن.

⁴. الصحابي : "في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها " – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – ص. 19

في أبغض الحال؟

إذاء هذا الوضع تقف الترجمة حائرة، فهي بين خيارين أحلاهما مرّ، فأيّهما تختار؟ هل تبقى خاضعة للغة ويقتصر عملها على تشریح لغوی أم تكتفى لتصبح عامل مقارنة بين اللغات؟

صحيح أن اللغات استواعت الترجمة لفترٍ طويلة وأبقتها في كنفها تحت رعايتها إلا أنها حَجمت دورها ونسيّتها في الظل لتُفيذ مَأْرب خاصة. فهم قبل الترجمة بهذا التعسُّف بحقّها بحجّة شروط العيش المشترك؟

علاقة الحب غير المتكافئ هذه دفعت الترجمة إلى التفكير ملياً بالإستقلالية. ولكن كيف لها أن تستقلَّ بعد أن قضت رحماً من الزمن تحت رعاية اللغة؟ وسط تساؤلات الترجمة عن مستقبلها وما هيّتها برزت الألسنية وحاولت بمعسول كلامها أن تتلافى الترجمة وتُبعدها عن سيطرة اللغة. ومعسول الكلام أغوى الترجمة فيه وجدت مفاهيم تخصّها مثل المرسل والمُرسَل إليه والمُرسَلة ولغة الإنطلاق ولغة الوصول. في حضن الألسنية وجدت الترجمة نوعاً من العزاء وبالمفاهيم المتداولة وجدت الراحة والإنسجام.

واكتشفت الترجمة أنها لا تقوم على قواعد اللغة فحسب لأنها عملية تخاطبية – توأمية بالدرجة الأولى بل هي بحاجة إلى سلسلة عوامل تساعدها على تقوية مكانها وتحديد أهدافها.

ومع الألسنية اكتشفت الترجمة كفاءاتها؛ فهي قادرة على التزيين بألف زين لأداء مرسلة واحدة مثلاً: ترجمة روایة محددة إلى عدة لغات. قد تأتي الترجمة مختلفة من لغة إلى أخرى إلا أن المرسلة وهي أحداث الرواية تبقى ثابتة وواحدة.

وارتكزت الترجمة على المرسلة وهي محور كل عملية ترجمة. والمرسل والمرسل إليه وجدت في هذا الثلاثي خير حليف وظنت لو هلة أنها بمساعدته يمكنها أن تنطلق وتستقل. إلا أن آمالها سرعان ما تبدّلت عندما عرفت أنه ما زال

يُنظر إليها على أنها مرتبطة باللغة لا وبل أكثر من ذلك أنها تستعمل لوصف آلية اللغة": إذن هي تستغل "عامل مقارنة" لدراسة اللغة ووصف آليتها⁵.

ولعل ما زاد من خيبة الترجمة أن الألسنية بدأت تضيق عليها الخناق. وصارت تراقبها وترصد تحركاتها وحدّدت لها عملها بثلاثة أهداف : الفهم والإفهام والتوالص.

١ - هي أولاً عامل فهم لأننا نعتمد على الترجمة لفهم نصٌ بلغةٍ ليست لغتنا الأم. غالباً ما تكون هذه العملية فكرية تحصل عندما لا نتقن اللغة الهدف إنقاذاً تماماً؛ وفيها يتماهى كلُّ من المرسل والمتلقي.

٢ - هي ثانياً عامل إفهام لأننا نعتمد على الترجمة لفهم نص شفهي أو كتابي بلغةٍ ليست لغتنا الأم فيتدخل وسيطٌ بين المرسل والمتلقي لتخطي حاجز اللغة.

٣ - هي ثالثاً عامل تواصل لأننا نعتمد عليها لتعلم لغة حية جديدة .

في الكفيل :

أمام هذا الواقع الجديد لملمتِ الترجمة جراحها وانكفتَ تبحث عن حلٌّ وفكرت أن لا مفرّ من الطلاق فهي سئمت حياة القيد والدونية : تراقب تصرفاتها وترصد تحركاتها. فهي لا تعرف الثقة الشخصية مع اللغة ولم تنعم بالحرية مع الألسنية. ووقفت تدافع عن نفسها. فهي ترفض أن تكون حكراً على اللغة وترفض أن تكون فعلاً ألسنياً وترفض أن تختصر بالفهم والإفهام والتوالص.

صحيح أنها تسعى إلى كسبِ حريةِها الشخصية ولكن ليس على أساس الخصم ! صحيح أنها ترفض أن تُنسب حكراً إلى كلِّ واحدٍ من هذه العناصر ولكنها في الوقت عينه بحاجة إليها جميعاً معاً !

⁵ "Vinay et Darbelnet" : "Stylistique comparé du français et de l'anglais."

le passage d'une langue A à une langue B, pour exprimer une même réalité X, passage que l'on dénomme habituellement traduction, relève d'une discipline particulière, de nature comparative, dont le but est d'en expliquer le mécanisme et d'en faciliter la réalisation par la mise en relief des lois valables pour les deux langues considérées. Nous ramenons ici la traduction à un cas particulier, à une application pratique de la stylistique comparée".

عملية كرّ وفرّ؟ بالطبع لا！ فالترجمة لا تراوغ في علاقتها وكيف لها ذلك وقد استمدّت قوتها وحياتها من الألسنية واللغة على حد سواء؟ وفكرة الإستقلالية طرحت للترجمة اشكالية جديدة : فلو افترضنا حكماً أنها استقلّت، فتحت أي لواء تنضمّ؟ اللغة؟ أم الألسنية؟ أم الأدب المقارن...؟ أم غيرها من الفروع المستمرة أو قيد الإستثمار؟

ولو افترضنا حكماً أنها استقلّت فهل بوسعها أن ترعى نفسها دون قييمٍ عليها وهل بوسعها قطع العلاقة تماماً عما كان في حياتها أو حيواتها السابقة؟ قد يفكّر البعض إن في تصرّف الترجمة نوعاً من المجازفة فهي سرعان ما ستعود إلى حضن الحبيب وتطلب السماح لنزوة طيشٍ أصابتها.

ويقول البعض الآخر أنه قد أن الأوان للتفكير مليأً بالإستقلال والبدء بإنشاء كيانٍ خاص والتفكير بالمستقبل. والحقيقة أن تفكير الترجمة بالإستقلالية لم يكن مجرد نزوة عابرة أو مجازفة قصيرة الأمد؛ لأن إقدامها على تحقيق فكرتها أدى إلى نشوء علم خاص بها وهو يُعرف بالترجمية. إلا أن نشوء هذا العلم في الحقيقة ارتبط بمسار الترجمة أي أنه ليس حديث العهد. فمن يقتفي أثر الترجمة عند العرب يكتشف أن "علم الترجمة" بدأ منذ القدم واستمر إلى أيامنا. إلا أنه بقيَ علماً مغموراً لفترة طويلة ولم يُعرف ككيان مستقل بسبب الخلط بين نظريات المقارنة بين اللغات والترجمة من جهة وبين التفكير في الترجمة أي طرائق⁶ الترجمة من جهة أخرى.

وقد ركّزت على فكرة علم الترجمة واستقلاليتها كلّ من الزميلتين "مي عقل" في أطروحتها الدكتوراه المعنونة⁷ : "الترجمة تقع بباب العلم" و "مي الحداد" في أطروحتها المعنونة⁸ : "على خطى الترجمة : من الجاحظ إلى الياس أبو شبكه".

فقد توقفت الزميلة "مي الحداد"⁷ بدراساتها التحليلية عند الإشكاليات التي تبلورت في علم الترجمة في التراث العربي فأكّدت أن العرب كانوا السباقين في طرح

⁶ Delisle, Jean: "cahiers de traductologie" no 2, Ottawa, Les Presses de l'Université d'Ottawa – 1980.
"On cherche encore à quelle enseigne la loger : la linguistique appliquée, la psycholinguistique ? la sémiotique ? La littérature comparée ? La didactique des langues ? La psychologie cognitive ? L'ethnologie ? La science de la communication ? Autant d'avenues explorées ou à explorer, et aucune ne s'est encore révélée, à elle seule, pleinement satisfaisante".

⁷. مي حبيقة الحداد، "على خطى الترجمة العربية، سلسلة المصدر الهدف - جامعة القديس يوسف - 2010 ص. 335.

بعض الإشكاليات الترجمية وخلصت إلى أن التنظير في الترجمة أو الترجمية هو علمٌ قديمٌ ظهر في الكتابات العربية القديمة ومارسه "بعض الكتاب العرب ربما على غفلةٍ منهم".

أما الزميلة "مي عقل"⁸ فقد أجرَت دراسة شاملة حول علاقة الترجمة بالعلم والإشكاليات التي تفصل ما بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وبعد أن تدرج بمحطات تطور الأبحاث حول الترجمة، توصل إلى الإثبات أن الترجمة علمٌ مستقلٌ وتنتهي "بتفسير وصفي علمي لعملية الترجمة ككل وللترجمة كميدان علمي جديد يشق طريقه نحو العلوم الإنسانية".

صحيحٌ أنَّ الترجمة ولجت ميادين عدَّة واستقت من كل ميدان ما يُعني كيانها ويساعدها على التطور واستطاعت الترجمة أو تولفَ من خبراتها كلها وتخرج بعلمٍ محدد له شروطٌ وقواعدٌ واضحةٌ وهو الترجمية.

صحيحٌ أنَّ وجهات النظر تتضارب حول الترجمة بين مؤيدٍ ومعارض ولعلَّ السبب هو أن هذه الأخيرة أبقيت على شعرة معاوية في كل علاقاتها الجدية والعابرة. فقد ولجت ميادين عديدة وتركتها بدون نزاع بل بالعكس إستقت من كل ميدان ما يُعني كيانها ويساعدها على التطور. من هنا، يمكننا القول إن حياتها كانت عبارة عن سلسلة مغامرات خرجت منها الترجمة رابحةً ولو مع طعم مرارة بسبب الحبِّ المنكسر. ولعلَّ مصطلح التوليف هو خيرُ وصفٍ لعملية الترجمة.

⁸ . مي طوني عقل، "الترجمية تครع باب العلم – سلسلة المصدر الهدف – جامعة القديس يوسف 2009 – ص. 12 - 13

وبعد، قيل إنّ الحرب لن تقع بين اللغات والترجمة وما يؤكّد ضمانة عدم نشوب الحرب ليس انتشار قوات حفظ السلام او كثافة مهام الوسطاء بل هو الحدود الواضحة والمرسّمة بين مختلف الفرقاء يتمسّك كلّ فريق بكيانه ويحافظ على أراضيه ويضمن استقلاله فلا يتأثر بمناوشات قد تقع من غير أن تؤدي إلى هزّ الكيان أو تدميره!

إلاّ أن ترسيم الحدود يفرض واقعاً مختلفاً، فبحكم الجيرة ستبقى العلاقة قائمة بين اللغات والترجمة. وواقع الجيرة سيفرض حركة تبادل بين القطبين وهذه لا تتم عن طريق التهريب ولا تحت جنح الظلام بل في وضح النهار لأنّ الحدود مشتركة ومفتوحة بين الأطراف كافة : من هنا تنشأ دينامية جديدة بفعل عملية الأخذ والردّ فيعترض كل قطبٍ بالآخر.

قائمة المصادر والمراجع

- **Delisle, Jean** : «Cahiers de traductologie » no 2 Ottawa-les Presses de l'Université d'Ottawa – 1980.
 - **Lee-Jahnkee, Hannelore** : « Enseignement de la traduction et traduction dans l'enseignement » - Les Presses de l'Université d'Ottawa – 1998.
 - **Laplace, Colette** : « Théorie du langage et théorie de la traduction – Collection traductologie no 8 – Didier erudition – 1994.
 - **Pergnier, Maurice** : « Les fondements sociolinguistiques de la traduction ». Presses universitaires de Lille – 1993.
 - **Vinay et Darbelnet**: "Stylistique comparé du français et de l'anglais.
-
- أبو فاضل ، حردان ، فغالي، عويس : " مصطلحات تعليم الترجمة". سلسلة المصدر والهدف – منشورات جامعة القديس يوسف.
 - ابن منظور : "لسان العرب" دار صادر – بيروت.
 - الصاحبي: " في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" منشورات دار الكتب العلمية – بيروت لبنان 1997.
 - طريقة Assimil أو طريقة الدراسة اليومية ، سلسلة بلا عناء – مكتبة أنطوان ش.م.ل 2006.
 - "طريقة الجمل" أو Cours de langue arabe – دار المشرق.
-
- مي حبيقة الحداد، "على خطى الترجمة العربية، سلسلة المصدر الهدف – جامعة القديس يوسف 2010 - ص. 335.
 - مي طوني عقل، "الترجمة تقع بباب العلم – سلسلة المصدر الهدف – جامعة القديس يوسف 2009 – ص. 12 – 13 .